نقش آرامي قديم من غربي إيران

أ. د. فاروق إسماعيل

أستاذ في جامعة برلين الحرّة

الملخص:

كشفت التنقيبات الأثرية في إيران عن نقوش آرامية في مواقع عدة (بهستون، تخت جمشيد، شوش)، يعود معظمها إلى القرن الخامس ق.م، وتعد لغتها "آرامية دولية". لكن هذا النقش يعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن ق.م؛ لذلك فهو أقدم نقش آرامي معروف حتى الآن في إيران. وهو يتشابه في أسلوبه اللغوي والتعبيري، وفي أشكال الحروف المستخدمة في تدوينه مع نقوش آرامية مكتشفة في سورية، مثل نقشي السفيرة والفخيرية. إنه يكتسب أهمية خاصة بسبب قدمه التاريخي ووجوده في منطقة بعيدة عن الإطار الجغرافي الذي انتشر فيه الآراميون، ولعله يشير إلى تحالف إحدى الكيانات الآرامية في شمالي سورية مع مملكة مانيا التي نشأت في مناطق جنوبي بحيرة أورميا، خلال القرون الثلاثة (٩ -٧ ق.م).

Summary

Archaeological excavations in Iran have uncovered Aramaic inscriptions in several sites (Behistun, Takht-i Jamshid, Shosh), most of which date back to the 5th century BC. and Its language is "Imperial Aramaic". But this inscription dates back to the second half of the eighth century BC; therefore it is the oldest known Aramaic inscription to date in Iran. It is similar in its linguistic and expressive style, and in the forms of letters used in its codification with Aramaic inscriptions discovered in Syria, such as the inscriptions of al-Sefira and Fekheriyah. It is especially important because of its date and its presence

in a region far from the geographical framework in which the Arameans spread.

١ – النقوش الآرامية القديمة:

أنشأ الآراميون – بدءاً من مطلع القرن العاشر ق.م - ممالك متعددة صغيرة في شتى مناطق سورية. وقد كانت مرتبطة بمدينة مركزية تتبع لها أحياناً بعض المدن الصغيرة وعدد من القرى، وتقوم بالحكم فيها أسرة متميزة ذات شأن، يتولى وجهاؤها أو شيوخها الحكم وراثياً. ولذلك لصقت صفة (بيت) بمعظمها، وحملت أسماء منسوبة غالباً إلى مؤسسيها. ويمكن تقسيمها في ثلاث وحدات جغرافية متصلة، هي:

١- ممالك الجزيرة الفراتية (تيمانا، بيت بخياني، بيت زماني، بيت عديني، إمارات الفرات الأوسط).

٢- ممالك سورية الشمالية (بيت آجوشي، يأدي/ شمأل).

٣- ممالك سورية الوسطى والجنوبية (حماة ولعش، دمشق). (إسماعيل ١٩٩٧، ص ١٠)

دخلت هذه الممالك في صراع مرير مع المملكة الآشورية القوية بدءاً من مطلع القرن التاسع ق.م، وسارت إليها حملات عسكرية آشورية متكررة ألحقت بها الدمار، وفتكت بالسكان، ونهبت وفرضت جِزى باهظة، حتى أرهقتها وأضعفتها، وفرضت سيادتها عليها واحدة تلو الأخرى، خلال القرنين التاسع والثامن ق.م، وكانت آخرها مملكة حماة التي قادت تحالفاً آرامياً مدعوماً من مصر، فهزمه الملك شَرُّكين الثاني (٧٠٥-٧٢٢ ق.م) في

معركة قرقر (الثانية)، وفرض السيادة الآشورية على حماة أيضاً سنة ٧٢٠ ق.م.

كشفت التنقيبات الأثرية في مراكز الممالك الآرامية ومناطقها عن نقوش كتابية مدونة بلغة تمثل المرحلة الأقدم من اللغة الآرامية التي ظلت مستخدمة في المشرق العربي حتى مجيء الإسلام وسيادة اللغة العربية؛ بل إن لهجتين منها هما السُّريانية وآرامية معلولا ما تزالان مستخدمتين في مناطق صغيرة من سورية (إسماعيل ١٩٩٧، ص ٥٧-٦٨). وهي مدونة بخط أبجدي اقتبسه الآراميون في بواكير تاريخهم من الفينيقيين الذين اكتملت المحاولات الأولى لإبداع الأبجدية في بلادهم؛ في جبيل، ثم في سائر المدن الفينيقية في الساحل اللبناني.

٢ – النقوش الآرامية في إيران:

نشأت في مناطق إيران الغربية (سلسلة زاكروس الوسطى) بدءاً من القرن التاسع ق.م مملكتان؛ هما مانيا في مناطق جنوبي بحيرة أورميا، وميديا في جنوبيها. وكان للفرس آنذاك مملكة في إقليم فارس (جنوب غربي إيران، في محيط مدينة شيراز). قضى الأخمينيون على المملكتين، ووحّدوهما في 538 ق.م تحت حكمهم، بل شكلوا إمبراطورية امتدت في المشرق العربي، ووصلت إلى مصر أحياناً. ولما كانت الآرامية قد انتشرت على نطاق واسع في المناطق التي أخضعوها؛ فقد جعلها ملكهم دارا الأول (٥٢١ -٤٨٦ ق.م) لغة رسمية في الإمبراطورية التي ظلت قائمة حتى مجيء قوات الإسكندر المكدوني واحتلال المنطقة برمتها سنة ٣٣١ ق.م.

يُصطلح على تسمية لغة النقوش الآرامية التي تعود إلى هذه المرحلة بالآرامية الإميراطورية أو الدولية، وتتمثل شواهدها المكتشفة في إيران

بالترجمة الآرامية لنقش بهستون المدون بثلاث لغات (الأكدية، العيلامية، الفارسية القديمة) ونقوش كثيرة عُثر عليها عام ١٩٣٤ م ضمن المحفوظات الملكية في برسيبوليس (تخت جمشيد حالياً)، ونُشرت في الكتاب (Bowman 1970)، وهي تعود إلى القرن الخامس ق.م. كما عُثر في العاصمة العيلامية سوسا (شوش) على نقوش آرامية مرافقة لنصوص مسمارية عيلامية (Hallock 1969, p. 82).

٣ – التعريف بالنقش:

النقش الكتابي مدون أسفل نصب حجري ضخم، في كسرتين؛ وجدت الأولى الأساسية سنة 1985 م في موقع قلايجي قرب بلدة بوكان (بين مدينتي مهاباد وسقز في إقليم كردستان-إيران). ثم ظهرت الثانية الصغيرة في سوق تجارة الآثار في طهران سنة ١٩٩٠ م. إنه محفوظ في متحف طهران، وقد نشره – أول مرة -الباحث الإيراني رسول بشّاش كنزق باللغة الفارسية سنة 1996 م، ثم صدرت دراسات عدة عنه. (Kanzaq, R. Bashash 1996; Lemaire, A. 1998; Eph'al, I. 1999: Sokoloff, M. 1999; Donner, H.–Rőllig. W. 2002; Fales, F. M. 2003) ويتفق الباحثون على تأريخه بالنصف الثاني من القرن الثامن ق.م؛ استناداً إلى المعطيات الباليوجرافية (أشكال رسم الحروف) واللغوية والأسلوبية والتاريخية.

٤ – نسخ النقش (Kanzaq, R. Bashash 1996, Fig. 4):

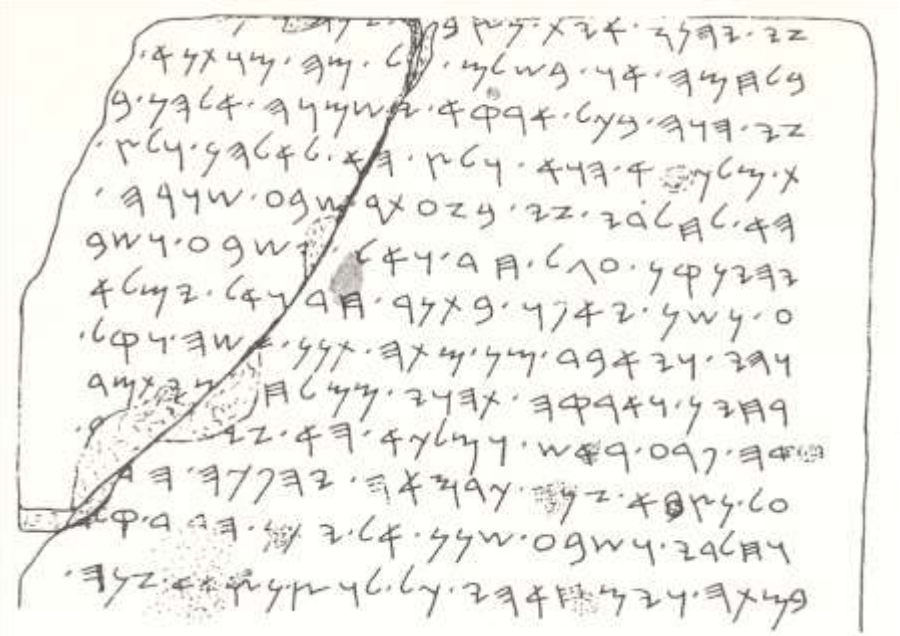

٥- قراءة النقش:

قدّم رسول بشّاش كنزق ناشر النقش قراءة له، لم نجد لبساً فيها لدى التدقيق؛ ولاسيما أن النقش في حالة سليمة، وخط كاتب النقش متميز بوضوحه ودقته. وليس ثمة اختلاف حول القراءة بين الباحثين؛ باستثناء كلمة في السطر الخامس، سنبينه لدى الدراسة التحليلية للنقش.

١– ز ي. ي ه ن س. أ ي ت. ن ص ب[أ.] ز ن ه[.]

٢– ب ل ح م ه. أو. ب ش ل م. ك ل. م ه. م و ت ن أ.

٣- زي. هـ و هـ. ب ك ل. أ ر ق أ. ي ش م و هـ. أ ل هـ ن. ب [ب]

٤- ت. م ل ك [ت] أ. هـ و أ. و ل ص. هـ أ. ل أ ل هـ ن. و ل ص.

٥- هـ أ. ل ح ل د ي. ز ي. ب ز ع ت ر. ش ب ع. ش و ر هـ.

٦- ي هـ ي ن ق ن. ع ج ل. ح د. و أ ل. ي ش ب ع. و ش ب

٧- ع. ن ش ن. ي أ ف و. ب ت ن ر. ح د. و أ ل. ي م ل أ

٨- و هـ ي. و ي أ ب د. م ن. م ت هـ. ت ن ن. أ ش هـ. و ق ل.

٩- ر ح ي ن. و أ ر ق هـ. ت هـ و ي. م م ل ح هـ. و ي ت م ر

١٠- د هـ. ف ر ع. ر أ ش. و م ل ك أ. هـ أ. ز ي [. ك ت] ب.

١١- ع ل. ن ص ب أ. ز ن هـ. ك ر س أ هـ. ي هـ ف ك هـ. هـ د [د]

١٢- و ح ل د ي. و ش ب ع. ش ن ن. أ ل. ي ت ن. ح ص ر. ق ر ب [ت.]

١٣- ب م ت هـ . و ي م ح أ هـ ي. ك ل. ل و ص. ن ص ب أ. ز ن هـ.

٦ــ ترجمة النقش:

١- (الملك) الذي يحرّك هذا النصب،

٢- في حرب أو في سلم؛ كلّ ما هو وباءٌ

٣- موجودٌ على كلّ الأرض؛ ليت الآلهة تنزله على

٤- القصر الملكي. ويصير ذاك (الملك) رذيلاً أمام الآلهة، و(بشكل خاص) رذيلاً

٥- أمام (الإله) خَلدي الذي (مقرّه) في ز ع ت ر. ليت سبع بقرات

٦- ترضعن عجلاً واحداً، ولا يشبع. وسبع

٧- نساء تخبزن في تنّور واحد ولا تملأنه.

٨- ويزول من بلاده موقدُ النار وصوتُ

٩- الرحى. وأرضه تصير مُمَلّحةً، ويتمرّد عليه

١٠- القائد الرئيس. والملك ذاك الذي سيكتب

١١- على هذا النصب؛ ليت الإلهين هدد وخَلدي يقلبان عرشه،

١٢- وسبع سنين لا ينمو عشبُ المراعي

١٣- في بلاده. وتحلّ به لعناتُ هذا النصب كلّها.

٧ــ تحليل النقش:

١- زي "الذي" اسم الموصول الوحيد في اللغة الآرامية القديمة. ودلالته عامة؛ إذ يستخدم للمفرد والجمع، والمذكر والمؤنث. وتتحدد دلالته على ضوء السياق. يعتقد أن الأصل فيه هو حرف الزاي وحده. وقد تحول في الآرامية

خلال العصور التالية إلى دال. وكان دالاً في الأوجاريتية أيضاً. وقد رأى نحاة العربية في الكوفة أن الذال في صيغ اسم الموصول العربية هي الأصل. سبقت بأداة التعريف، ومدت تسهيلاً للنطق، وشاع في لهجة طيء القديمة استخدام (ذو) اسماً موصولاً، وعرفت بـ(ذو) الطائية. (إسماعيل ١٩٩٧، ص ١١٠)

ي هـ ن س "يحرّك" فعل مضارع يرد في نقشي زكور (ب، السطر 20) والنيرب (1، السطر 6؛ 2، السطرين 8، 9) الآراميين أيضاً. ورد في المعجم بصيغة هـ ن س (DNWSI, p. 290)، وقد يكون أصله ن و س، خففت الواو لفظاً وأهملت كتابة. ومن ثم يقابله في العربية نوس، وناسَ الشيء ينوس نوساً ونَوَساناً تحرّك وتذبذب. (لسان العرب: نوس)

أ ي ت ضمير منفصل، يكون علامة تسبق المفعول به، وتدل عليه، ويختفي في الترجمة العربية. وهو موجود في العبرية ومعظم النقوش السامية الغربية. (DNWSI, p. 47)

ز ن هـ "هذا" اسم إشارة للقريب المذكر، يأتي في الآرامية القديمة بعد المشار إليه دائماً (إسماعيل ١٩٩٧، ص ١٠٩).

٢- ل ح م هـ "حرب" اسم مفرد مؤنث. وردت شواهد عليه في نقش ميشع المؤابي (DNWSI, p. 571)، والشاهد هنا مهم يؤكد المعنى كحالة مناقضة للسلم.

م و ت ن أ "الوباء" اسم مفرد مذكر معرّف. يعود أقدم شواهده إلى القرن التاسع ق.م (نقش الفخيرية 23)، والنون المتطرفة فيه تدل على تأثر بالأكدية mūtānu (AHw, p. 687)، وبها تميز عن الاسم (م و ت) "موت"

المعروف في النقوش السامية الغربية، وصار يدل على الوباء والطاعون المميت (DNWSI, p. 607).

٣- ز ي. هـ و هـ "الذي كان" يرد فعل الكون والصيرورة في السطر التالي بصيغة (هـ و أ) أيضاً.

ي ش م و هـ "تنزله، تضعه" فعل مضارع أصله ش ي م (DNWSI, p. 1126)، حذفت عينه لدى اتصاله بواو الجماعة الدالة على الفاعلين (الآلهة) والهاء الدالة على المفعول (الوباء). أي أن ترجمته الحرفية هي «يضعونه (الآلهة)»، وبذلك نجد ظاهرة الإشارة إلى الفاعل بمحددين نحويين (ضمير، اسم) الشائعة في الآرامية؛ وذلك على غرار لغة "أكلوني البراغيث" في اللهجات العربية القديمة.

٤- ب ت. م ل ك ت أ "بيت المملكة" والمقصود هو القصر الملكي (DNWSI, p. 156).

ل ص "اللعنة" اسم أصله (ل و ص) كما في السطر(13)، أو (ل ي ص) كما ورد في النقوش الفينيقية والبونية للدلالة على مهنة، وصفة للرجل الضعيف أو الرذيل السيء (DNWSI, p. 575). ويرد في النسخة الآرامية المصرية لحكم أحيقار بصيغة (ل و ط) (DNWSI, p. 569). وقد ورد هنا بعد فعل الصيرورة، ويدل على الحالة التي سيؤول إليها، بسبب فعله.

٥- ح ل د ي "خلدي" إله الحرب والمعبود الرئيس في مملكة أورارتو. وصف بأنه سيد البلاد الذي يختار الملك للحكم، ونسب الحكام إليه إثارة الحروب وتحقيق الانتصارات. كان معبده الرئيس في موصاصير (تل مُجَيسر، شمالي رواندوز في كردستان العراق Boehmer 1973, p.

(31ff.) أو تل سيديكان بجواره غرباً (Radner 2012, p. 245ff.)، ثم نقل مركز عبادته إلى توشبا (قلعة مدينة وان في أقصى شرقي تركيا). ويعد هذا النقشُ الوحيد الذي يأتي على ذكره في الآرامية.

ز ع ت ر اختلف الباحثون في قراءة الكلمة الدالة على اسم مكان، كما اختلفوا في تحديد موقعه. فقد قرأه تكسيدور Teixidor بصيغة ب م ط ت ر "في مطتر" ورأى أن المكان المقصود هو موصاصير (.-1997) 1998, p. 389ff، بينما قرأه لمير Lemaire بصيغة ب ز ع ت ر "في زعتر" ورأى أن المقصود مدينة (إ)زرتو عاصمة المانيين في الجنوب (تل كبلنتو، 40 كم شرقي مدينة سقز، نحو 50 كم عن بوكان) وأن صاحب النقش هو الملك الماني ألّوسونو (Lemaire 1998, p. 15ff.)، أما فالس Fales فيؤكد قراءة لمير، ولكنه يعدّ الباء جزءاً من الاسم (ب ز ع ت ر) معتمداً على تعابير مماثلة في النقوش الآرامية القديمة لا يستخدم فيها حرف الجر، وإنما يضاف اسم الإله إلى اسم المكان مباشرة، نحو: ب ع ل ح ر ن "بعل حرّان"، هـ د د س ك ن "هدد سيكان"، أو يستخدم بينهما اسم الموصول "ز ي" لإفادة الإضافة. ويذهب إلى أنه يصعب مطابقة الموقع، وقد يكون الاسم اسم مدينة في منطقة زاكروس الوسطى (القريبة من بوكان) غير معروفة في النصوص بعد (Fales 2003, p. 131ff.). ونميل إلى رأي لمير، وثمة توافق بين الاسمين (زرتو، زعتر) إذا ما راعينا أمرين، هما:

١- غياب الأصوات الحلقية في اللغة الأكدية (الآشورية) أدى إلى إهمال تدوين العين في الصيغة الآشورية للاسم (زرتو).

٢- حصول القلب المكاني بين الراء والتاء في الصيغة الآرامية، أو أنه خطأ وقع فيه الكاتب.

ش و ر هـ اسم مؤنث ورد بالصيغة نفسها في نقش السفيرة (١ (آ)، السطر ٢٣) وبصيغة س و ر في نقش الفخيرية (السطر ٢٠) ولم يرد في نقوش أخرى. هو اسم جنس دال على الثور والبقر(DNWSI, p. 1118)، وفعله المذكور ي هـ ي ن ق ن "يرضعون" من الجذر اللغوي ي ن ق يشير إلى البقر.

٧- ن ش ن "نساء" اسم جمع مؤنث، أصله أ ش (DNWSI, p.118). تقتصر شواهده على هذا النقش، ونقش الفخيرية (السطرين 21، 22) حيث ورد بصيغة ن ش و ن. ويقابل نِسوان، نِسْوُن في العربية.

ي أ ف و "يخبزوا، تخبزن" فعل مضارع أصله أ ف ي، واتصلت به واو الجماعة. يرد في نقش الفخيرية (السطر 22) وفي الآرامية الدولية (DNWSI, p. 94)، ونجد في العربية اسماً من الجذر نفسه، وبدلالة معنوية قريبة هو المِيْفى: طبق التنور (لسان العرب، مادة: وفي).

٨- ت ن ن اسم مضاف لا يرد في النقوش السامية الغربية عامة. يعتقد أنه صيغة آرامية قديمة معدلة للاسم الأكدي utūnu، atūnu "موقد من الآجر". واللفظة مستخدمة في النصوص الأكدية منذ العصر البابلي القديم، ويعتقد أنها دخيلة من السومرية UDUN (AHw, p. 1445). والأتّون في العربية الموقد، والعامّة تخفّفه، ويقال هو مولّد. وقال ابن خالويه: لا أحسبه عربياً (لسان العرب، مادة أتن).

٩- ر ح ي ن اسم جمع للدلالة على حجر الرحى المؤلف من قطعتين، لا يذكر في نقوش سامية غربية أخرى (DNWSI, p. 1067).

م م ل ح هـ صيغة اسم المكان من م ل ح "ملح، الملح" والهاء للتأنيث، يرد في نقوش بونية (DNWSI, p. 646).

ي ت م ر د هـ "يتمرد عليه، يحرّض" فعل مضارع، أصله الثلاثي م ر د، واتصلت به هاء دالة على المفعول. والفعل مستخدم في النقوش الآرامية الدولية (المصرية) (DNWSI, p. 690)، وكذلك في العربية.

١٠- ف ر ع اسم مفرد مذكر. هو اللقب الملكي المصري برعا "فرعون" (DNWSI, p. 943)، ويعني في المصرية القديمة "البيت الكبير".

١١- هـ د د إله الطقس لدى الآراميين، وكانت له معابد في عدد من مراكز ممالكهم القديمة. يماثل أدد الأكدي وأدّو الأموري (Black, Jeremy – Anthony Green 1992, p. 110).

١٢- ي ت ن فعل مضارع، أصله ن ت ن "أعطى" (DNWSI, p. 766)، أدغمت النون في التاء، وهو في صيغة المبني للمجهول التي لا تختلف كتابياً عن المبني للمعلوم، يفرّق بينهما السياق. فالترجمة المباشرة للفعل هي "يُعطى" وقد اعتمدنا "ينمو" لمناسبة السياق.

ق ر ب ت "المراعي، أطراف المدن" اسم جمع مؤنث، أصله ق ر ب هـ. يرد في النقوش الآرامية الدولية أيضاً (DISO, p. 265).

١٣- ب م ت هـ "في بلاده" الاسم م ت أكدي الأصل mātu (AHw, p. 633; DNWSI, p. 706) استخدم في نقش الفخيرية (السطر23) أيضاً.

ي م ح أ هـ ي فعل مضارع أصله م ح أ/ي "ضرب، فرض، أصاب" (DNWSI, p. 610)، اتصلت به هـ ي الدالة على الغائبة، وتعود على

البلاد. والفعل مستخدم في النقوش الفينيقية والآرامية القديمة والدولية (AHw, p. 610).

٨- لغة النقش:

إن هذه السطور هي خاتمة النقش وليس كله، وقد دونت –على غرار نقش الفخيرية، وأجزاء من نقش السفيرة - بأسلوب أدبي إنشائي يتناسب مع صيغ اللعنات التي شاع استخدامها في النقوش الآرامية وغيرها (للاستزادة؛ راجع البحثين: Baranowski, Krzysztof J. 2012; Ramos, Melissa 2016).

وتظهر المقارنة تأثراً واضحاً بأسلوب صياغة اللعنات خلال القرنين التاسع والثامن ق.م. فالنص يتضمن تسع لعنات، نجد لخمسة منها ما يماثلها في نقشي الفخيرية (القرن التاسع ق.م) والسفيرة (القرن الثامن ق.م) (إسماعيل ١٩٩٧، ص ١٦٢، ٢١٨; Cathcart, p. 1996)، هي:

١- تنزل الآلهة أنواع الأوبئة كلها على القصر الملكي. وفي نقش الفخيرية نقرأ: لكن الأوبئة –عصا الإله نرجال-لا تنقطع عن أرضه (السطر23). وفي نقش السفيرة: ليصب الإله هدد كل ما هو شر في الأرض والسموات، وكل ما هو بلاء (على مملكته) (1 آ، السطر 25-26).

٢- سبع بقرات ترضعن عجلاً واحداً، ولا يشبع. وفي نقش الفخيرية: مئة بقرة لترضعن عجلاً، ولا يروى (السطر 20-21). وفي نقش السفيرة: سبع بقرات ترضعن عجلاً ولا يشبع (1 آ، السطر 22-23؛ 2 آ، السطر 1).

٣- سبع نساء تخبزن في تنور واحد، ولا تملأنه. وفي نقش الفخيرية: مئة امرأة لتخبزن في تنور خبزاً، ولا تملأنه (السطر 22).

٤- وسبع سنين لا ينمو عشب المراعي في بلاده. وفي نقش السفيرة نقرأ: وسبع سنين يعلو الطوى سطحي أرضها، فلا ينبت عشب، ولا تُرى خضرة، ولا يُرى نباتها. (1 آ، السطور 27 -29).

٥- وأرضه تصير مملحة. وفي نقش السفيرة: وليبذر الإله هدد فيها ملحاً وجرجيراً (1 آ، السطر 36).

وفي المستوى النحوي نجد استخدامات شائعة في الآرامية القديمة، تدلل على تمكن الكاتب منها. ويبدو النص قريباً من نقش الفخيرية في المستوى المعجمي، إذ تماثلا في التأثير الأكدي (م و ت ن أ، م ت) وفي التفرد بمفردات (ن ش ن)، واستخدام مفردات لا نجدها إلا في النقوش الآرامية الدولية (القرنين الخامس والرابع ق.م) مثل: ي أ ف و، ي ت م ر د هـ، ف ر ع، ق ر ب ت. ويتضمن النص مفردة ل ح م هـ التي لا نجدها في غير نقش ميشع المؤابي الذي يؤرخ بنحو 850 ق.م.

أما من ناحية أسلوب رسم الحروف فنلاحظ تشابهاً كبيراً مع أشكال حروف نقش آفس (زكّور) الذي يؤرخ بأواخر الربع الأول من القرن الثامن ق.م (780 -775 ق.م).

إن غياب شواهد دالة على انتشار اللغة الآرامية في تلك المنطقة آنذاك أثار جدلاً وحيرة بين الباحثين، فقد ذهب ليمير Lemaire إلى أن النقش إبداع محلي، ورأى إفعال Eph'al أنه يشكل إشارة إلى انتشار الآرامية بين جزء

من الطبقة العليا من المجتمع الماني، بينما رأى فالس Fales أننا أمام حالة خاصة، يحتاج توضيحها إلى شواهد أخرى.

٩- الإطار التاريخي للنقش:

كان مكان العثور على النقش ضمن المناطق الجنوبية لمملكة مانيا التي امتدت جنوبي بحيرة أورميا حتى محيط مدينة سقز في الجنوب، ونهر قيزيل أوزون (غربي إقليم زنجان) في الجنوب الشرقي، وجبال كردستان في الغرب. أما في الشمال الغربي فكانت حدودها غير مستقرة بسبب من الصراع شبه المستمر مع مملكة أورارتو (Boehmer 1964, p. 19, 23).

لم يكشف عن وثائق بلغة المانيين بعد، ولذلك نستقي أخبارهم من المصادر الكتابية الآشورية والأورارتية، حيث تذكر بلاد مانيا (māt Mannia) لأول مرة في تقرير عن حملة أرسلها الملك الآشوري شلمنصر الثالث، في سنة حكمه الثلاثين (828 ق.م) إلى هناك. وقد جاء فيه أن قائده العسكري ديّان آشور عبر نهر الزاب (السفلي) إلى خوبوشكيا ثم مداخيسا، ووصل إلى مدن أوداكو الحاكم في بلاد مانيا "الذي خاف من بريق أسلحتي القوية، وهجر زرتو Zirtu مدينته الملكية، وفرّ لحماية حياته" (Grayson 1996, p. 69f.).

كانت البلاد منقسمة إلى كيانات قبلية، ضعيفة عسكرياً، ولكنها اتحدت بمرور الزمن لمواجهة التنافس الآشوري –الأورارتي، وحملاتهم المتكررة عليها. نجحت أورارتو في فرض نفوذها هناك في أواخر القرن التاسع ق.م، وصارت تعيّن حكام المقاطعات من الموالين لها، وأرهقت السكان بالضرائب، فظهرت فيها تيارات عدة اختلفت في اختيار الحليف الخارجي (أورارتو،

آشور، ميديا)، كما استقلت أجزاء من البلاد، وتحاربت مع أورارتو. ولكن الملك الأورارتي أرجيشتي الأول استطاع استعادة النفوذ في نحو 775 ق.م.

اقتنعت الكيانات المانية بعد ذلك بضرورة الاعتماد على قواها والتخلص من النفوذ الخارجي، ونجحت في ذلك جزئياً، ونعمت البلاد بالازدهار، وتحسنت العلاقات مع مملكة ميديا المجاورة في الجنوب خلال الربع الثاني من القرن الثامن ق.م. وشعر الملك الأورارتي الجديد سردوري الثاني بخطورة ذلك على نفوذه في بلاد مانيا، فقام في ٧٤٤ ق.م بحملة ضخمة إلى مانيا وميديا، وقضى على التحالف بينهما، وبسط نفوذه في مانيا مرة أخرى.

ولكن دخول أورارتو في صراع مرير مع آشور في مطلع عهد الملك الآشوري تجلت فليسر الثالث (٧٤٤ -٧٢٧ ق.م) أدى إلى انسحاب القوات الأورارتية من مانيا تدريجياً، وإلى انشغال الآشوريين بذلك الصراع وبمحاربة تحالف الآراميين مع أورارتو، فكان ذلك فرصة لقيام مملكة مستقلة في بلاد مانيا بدءاً من ٧٣٥ ق.م. (للاستزادة؛ راجع الدراستين: Postgate 1989; Zadok 2012)

والراجح أن هذا النقش يعود إلى تلك المرحلة (نحو ٧٤٠ ق.م)، ويمثل اتفاقاً يستهدف آشور، ويؤسس لعلاقة جيدة بين مانيا وإحدى الكيانات الآرامية في شمالي سورية.

إن غياب الجزء الأول من النقش، وعدم توافر مصادر أخرى، يجعل تحديد الطرفين المتفقين أمراً يصعب الجزم فيه، ولكن ثمة خبر يلفت الانتباه ورد في حوليات السنة الثالثة من عهد تجلت فليسر الثالث (٧٤١ ق.م)، لعله يساعد في ذلك. يشير فيه إلى أن متيع إيل ملك أرفاد (تل رفعت، شمالي حلب) عاصمة مملكة بيت آجوشي الآرامية تمرد عليه، وأرسل رسائل إلى ملوك

الإمارات الحثية في شمالي سورية، وإلى سردوري ملك أورارتو، يعلن فيها عداءه لآشور (Tadmor 1994, p. 100) وقد يكون تدوين هذا النقش الآرامي في بلاد مانيا شاهداً على تحالف عقده متيع إيل مع مانيا عبر رسل أرسلهم بشكل سري إلى هناك. وبذلك يمكن تفسير تشابه لغة النقش وبنائه وأسلوبه مع معاهدة متيع إيل المكتشفة في السفيرة قرب حلب.

الخاتمة:

تعد النقوش الكتابية القديمة مصادر أساسية لكتابة التاريخ، لأنها وثائق معاصرة للأحداث التي تصفها، كما إنها تمثل شواهد مكتوبة على لغاتها ووسيلة لمعرفة طبيعة تلك اللغات وصلاتها وتطورها. والدرس التحليلي المقارن لها يساعد على استخلاص معلومات جزئية يؤدي اجتماعها إلى فهم التاريخ السياسي والحضاري لشعوب الشرق القديم. ويتميز هذا النقش الذي لا يرد أي ذكر له في الدراسات العربية بقدمه التاريخي، ووجوده في منطقة بعيدة غير آرامية، وإلى علاقة آرامية – مانية خلال مرحلة من القرن الثامن ق.م، ولا شك أن توضيح ذلك أكثر يتطلب شواهد كتابية أخرى.

المراجع:

إسماعيل، فاروق (1997) اللغة الآرامية القديمة. الطبعة الأولى، منشورات جامعة حلب.

لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري جمال الدين (1955) دار صادر، بيروت.

AHw = Soden, W. von (1958–1981) Akkadisches Handwörterbuch. Otto Harrassowitz, 1st ed., 3 vol., Wiesbaden.

Black, Jeremy – Anthony Green (1992) Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, An Illustreated Dictionary. The British Museum Press.

Boehmer, R. M. (1964) Volkstum und Städte der Mannäer. Baghdader Mitteilungen 3, pp. 1-24.

Boehmer, R. M. (1973) Zur Lage von Muṣaṣir. Baghdader Mitteilungen 6, pp. 31-40.

Bowman, Raymond A. (1970) Aramaic Ritual Texts from Persepolis. The University of Chicago, OIP 91, Chicago.

Cathcart, K. J. (1996) The Curses in Old Aramaic Inscriptions. In: Cathcart, K. J. – M. Maher (Ed.) Targumic and Cognate Studies. Eassys in Honour of McNamara. Sheffield, pp. 140-152.

DNWSI= Hoftijzer, J.- K. Jongeling (1995) Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions. E.J.Brill, Leiden.New York.Kőln.

Donner H., Rőllig W. (2002) Kanaanäische und aramäische Inschriften. Otto Harrassowitz, 5rd ed, Wiesbeden.

Eph'al, I. (1999) The Bukan Inscription. Historical Considerations. Israel Exploration Journal, 49, pp. 116- 121.

Fales, F.M. (2003) Evidence for west –east Contacts in the 8th Century BC: The Bukan Stele. In: Lanfranchi G. B., ed., Continuity of Empire. Assyria, Media, Persia. HANE/M V, Padova, pp: 131 -147.

Grayson, A. K. (1996) Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC, II (858 -745 BC). University of Toronto Press, 1st ed, Toronto Buffalo London.

Hallock, Richard T. (1969) Persepolis Fortification Tablets. The University of Chicago, OIP 92, Chicago.

Kanzaq, R. Bashash (1996) La lecture compléte de l'inscription de Bukan. In: Receuil d'articles du premier colloque langue,inscriptions et textes anciens. Shiraz 12-14 esfand 1370 (2-4 Mars 1991). Teheran, pp. 25-39.

Baranowski, Krzysztof J. (2012) The Old Aramaic and Biblical Curses. Liber Annuus 62, pp. 173-201.

Lemaire, A. (1998) Une inscription araméenne du VIII siècle av. J. C. trouvée à Bukan (Azerbaidjan Iranien). Studia Iranica 27/1, pp. 15- 30.

Postgate, J. N. (1989) Mannäer. RLA 7, Lieferung 5/6, pp. 340-342.

Radner, Karen (2012) Between a Rock and a Hard Place: Musasir, Kumme, Ukku and Šubria – The Buffer States between Assyria and Urartu. In: Kroll, S. et al.(ed.) Urartu-Bianili. Acta Iranica 51, Leuven, pp. 243-264.

Ramos, Melissa (2016) A Northwest Semitic Curse Formula: The Sefire Treaty and Deuteronomy 28. ZAW 128(2), pp. 205-220.

Sokoloff, Michael (1999) The Old Aramaic Inscription from Bukān: A Revised Interpretation. IEJ, Vol. 49, No. 1/2, pp. 105-115.

Tadmor, H. (1994) The Inscriptions of Tiglath-pileser III Kinf of Assyria. Jerusalem.

Teixidor, J. (1997-1998) Résumé des travaux. Antiquités Sémitiques. Annuaire du Collège de France.

Zadok, R. (2012) Mannea. Encyclopædia Iranica, online edition, available at http://www.iranicaonline.org/articles/mannea.